ما تبقي في الذهن من مذكرات هلرلي
كلنتون Hard chices الخيارات الصعبة

من التقاليد المرعبة في امتحانات الدكتوراه ، أي جلسة المناقشة للأطروحة ، أن يبتدر الطالب المناقشة بتقديم أطروحته في حدود 10/15 دقيقة . ودائما ما أطلب من طلابي الا يستعينوا بمعنيات ، مثل نقاط مكتوبة أو ورقة معدة للتلاوة ، لأن المطلوب معرفة ماذا تبقي في ذهن الطالب من رسالته ، ورحم الله الإمام ابوحامد الغزالي الذي انتبه لذلك ، حينما سرقت كتبه ، ورأي ذلك رسالة أن العلم ليس باقتناء الكتب وإنما بوعي وإدراك مافيها ومن ذلك الوقت ، أصبحت صحبته للكتاب ، أن يعي ويعرف ويعلم ما فيه وينضاف لذلك لحصيلته العلمية ، على مستوي الذاكرة الحافظة وعلى مستوي العقل المتدبر والمستخلص للدرس وغيره .

في واحدة من زياراتي للأستاذ الكبير دفع الله الحاج يوسف ، سألني هل قرأت مذكرات هلرلي كلنتون ، فقلت له لا ! فقال لي أن الكتاب وصله من صديق ، ونريد أن يبرني به قبل حتى أن يقرأه ، قلت له أجله لمرة أخري ولكنه اصر وأعطاني الكتاب وفعل ذلك الشيء الاستاذ محجوب عروة الذي أهداني كتابه وهم الفقر ومن قبله كتاب د. مصطفي عثمان " إدارة النزاعات بين الإسلام والغرب " وآخر عن إدارة الأزمات ، د. حسن محمد يوسف ، بالإضافة إلي دراسة الاستاذة فاطمة محمد على عن مروي المظهر والجوهر وكتابها الآخر عن بلاد الطمبور وكتاب إذان الأنعام للكاتبين عماد وعلاء وكتاب اليمن الكبير كما رسمه البشير النذير وهو الدكتور يمني اسمه صادق بن عبدالله كما أرسل لي البروفيسور يوسف فضل عدة كتب منتقاه لعدد من الجهابذة الذين كتبوا في تاريخ السودان وكتاب عن مهاتير ومجلدات عن الدول العثمانية تحرير أكمل الدين أوغلو- بالإضافة إلي مجلة Muslim World Book Review وهي متخصصة في استعراض وتقديم كتب المكتبة الإسلامية في كل الفنون وكنت يوما من أحد كتابها وتصدر في ليسر ببريطانيا.

وهكذا تتراكم الكتب ، وتعبت العيون وكل العقل واقول في نفسي ، لو كان في القبر فسحة ، وخيارات ، لتوسدت بعض هذه الكتب التي ضاقت عليها حجرات المنزل وهداني الله لاتبرع بثلها " قرابة الألف كتاب " لجامعة إفريقيا .

ولكن ماذا تبقي في الذاكرة من كتاب السيدة كلنتون التي نافست الرئيس اوباما على منصب الرئاسة في انتخابات الحزب الديمقراطي ، ثم اختارها أوباما وزيرا للخارجية الفترة

2009/2013 . وافتتحت عملها بزيارة آسيا " اليابان ، كوريا الجنوبية ، اندونيسيا ، الصين ، الهند " علما بأن التقليد أن يبتدر وزيرا الخارجية الأمريكي عمله بالتعرف على رصفائه الاوربيين ثم الروس ، ولكنها قلبت الأولية ، نسبة لظاهرة النمو الآسيوي والطفرة الصينية ، حتي اصبح الميزان التجاري مع الصين وحدها يفوق الستمائة بليون دولار .

ومع إن الباعث لزيارة الصين اقتصادي ، إلا انها حملت معها ملف حقوق الإنسان ، ودراما الصيني الأعمي الذي طلب حق اللجوء السياسي في السفارة الأمريكية بين يدي زيارة كلنتون ، وطبعا مابين ثنايا السطور هي مسألة مطبوخة من قبل الاستخبارات الأمريكية ، لإرسال رسالة للصين ، بأنه حتى العمي يريدون أمريكا ورفاهينها ، وأن زمان الشيوعية والشعبوبة قد ولي ، وفي الصين أمضت برتوكولا ثقافيا يقضي بأن ترسل أمريكا للصين سنويا مائة الف دارس ، تحتضهم الجامعات الصينية ، حتى يتعرفوا على اللغة الصينية وآدابها وتاريخها وسبل كسب العيش فيها قديما وحديثا .

وأبرزت اهتماما بامريكا اللاتينية وجهودها في نشر القيم الأمريكية وسيادة ، القانون ، والديمقراطية وحقوق الإنسان على مستوى أمريكا اللاتينية – وجهودها في محاصرة الشقيقين كاسترو كوبا وشافيز فنزويلا – أما في إفريقيا فقد ركزت على صداقتها بمانديلا منذ أن كانت السيد الأولي كما اشارت إلي الدول الإفريقية المتقدمة في سجل حقوق الإنسان " غانا " جنوب افريقيا ، السنغال ، بتسوانا ، وجهودها في حلحلة المشاكل الداخلية في كينيا حتى تجنبها الإنقسام والحرب الأهلية ، ثم رؤيتها للمسألة الصومالية وحرب أمريكا ضد الشباب ومساندتها لشيخ شريف ولكنها تجاهلت أن أمريكا هي التي اسقطت حكومة شيخ شريف الأولي التي جلبت السلام للصومال باسم (المحاكم الشرعية).

كما اهتمت بالدولة الوليدة في جنوب السودان وجهود أمريكا لتحقيق الأنفصال وقيام الدولة ومؤازرتها في حربها ضد الاستعمار العربي السوداني – اما السودان نفسه ، فقد أوردت عنه فقط عبارات منها ما يتصل بمحكمة الجنايات الدولية والآخر كأرض عبور للسلاح الإيراني المتجه إلي غزة واشارت إلي ضربة حاويات مصنع اليرموك مهن قبل اسرائيل وضربات اسرائيل الآخري في شرق السودان للحيلولة دون وصول ما أسمته بالسلاح الإيراني إلي غزة .

أما روايتها لمسلسل السلام الإسرائيلي الفلسطيني فهو تبني للرؤية الإسرائيلية – الدولة الديمقراطية الوديعة في وجه الإرهاب الفلسطيني وعلى الأخص النابع من غزة وان السلام البارد افضل من سخونة الحرب " الامر الواقع الآن " أما رؤيتها للرئيس مرسي ، فقد رأته كشخص

قابض ، اضاع فرص توحيد مصر حوله ، لعدم إشراك غيره – كما حرصت على أن يكون زواج ابنتها حسب التقاليد اليهودية علما بانها دينا بروتستانتيه ولكن لها جزر يهودي .

أما المسألة السورية / العراقية – فقد اشارت إلي جهود أمريكا لايجاد حل للمسألة السورية وان السلاح السعودي والقطري وجد طريقه للمتطرفين تقصد داعش والقاعدة وان أمريكا ركزت على تجريد سوريا من السلاح الكيميائي ، ونجحت في ذلك وكشفت عن الدور الأمريكي في استخدام التقانة الحديثة والسبل الجديدة في التواصل الإتصالي وتمليكها لناشطين ووالمعارضين حتى يتجاوزوا قدرات دولهم في إيران وكوريا الشمالية وغيرها حيث تم تأهيل 4 آلاف ناشط في تقانة الإتصالات ومهما قيل من قدح في امريكا ، إلا أنها بلد واعد بالخير من الداخل ، وإلا لو كان الرئيس اوباما قد ولد في السودان ، ربما لم يك لينال فرصة تعليم دعك من أن يصبح رئيسا لأمريكا – وحتى الرئيس الذي سبقه بل كلينتون فإنّه لايعرف اباه، ورباه زوج والدته وحتى هذا كان غير منتبه له – وتحدثنا هلرلي بأن والدتها كانت منبوذه من والديها واحتضنتها جدتها ثم طردتها ولكنها مع ذلك أطلت من تحت الانقاض لتنجب هلرلي التي تحكام الآن بأن تكون الرئيسة القادمة لامريكا وعنوان حملتها حماية حقوق الشواذ من حقوق الإنسان.

وإذا كانت هذه خلفية الرؤساء الديمقراطيين ، فإن اخوانهم الجمهوريين ليسوا بافضل حالة ، ويكفي توقيف الرئيس جورج بوش الإبن لقيادته سيارته وهو طاشم ، فإذا كان رؤساء امريكا معربدين وانجبتهم ظروف معربدة وأطلوا من تحت الأنقاض فلا تعجب أن ارسلوا الطائرات بدون طيار تعيث في الدنيا فسادا وخرابا . ومن قتلته لا بواكي له . لا فرق بين مدني أو عسكري أو طفل أو شيخ ورغم ذلك فإن أمريكا هي الارض التي حل وتوطن فيها المستقبل ما أصعبه من امتحان .

أ.دحسن مكي